

سمات التفكير غير السليم
وأثر هذه السمات على الخدمة

مرقس م. سمير

مقدمة :

أن رؤية الحقيقة كاملة تحتاج إلى قدر كبير كما تتطلب دراسة متأنية بمنهج حساب النفقة (لو 14:38) وذلك حتى تأتي أحكامنا وممارستنا موضوعية ودقيقة ولهذا يوصينا رب المجد بما يلي: "لا تحكموا حسب (الظاهر) (بسطحية)، بل أحكاماً عادلاً (مدروساً ومتعمقاً)" (يو 7:24).

لهذا تهدف هذه الورقة إلى الحديث عن سمات التفكير غير السليم التي تؤدي بنا إلى التعامل مع الأمور والأشخاص والقضايا والخدمة بصورة سطحية تؤثر سلبياً على معالجته للأمور وعلى علاقاته وخدمته.

تعريف سمات التفكير غير السليم :

ونقصد بها تلك الأساليب الفكرية الخاطئة التي يعتمدها المرء في حياته اليومية على كل المستويات بحيث يكون من نتائج استخدام هذه الأساليب أعاقته عن الوصول إلى الحقيقة أو الفهم الصحيح كما تعكس قصوراً فكرياً بصورة واضحة.

وسوف نتعرض في هذه الورقة إلى عدد من هذه السمات الفكرية غير السليمة وذلك بالترتيب التالي:

1- التحيز .	2- الإيحاء.	3- الانطباعية.
4- التعميم .	5- التحايل.	6- التبسيط المخل.

1- التحيز :

تعريف التحيز الفكري: من أهم سمات التفكير غير السليم وأشدّها خطراً سمة "التحيز الفكري" والتحيز الفكري هو ذلك الأسلوب الذي يمارسه الشخص في التوحد بأفكاره وآرائه بدرجة شديدة جداً إلى الحد الذي يجعله لا يرى غير أفكاره وآرائه ولا يتصور وجود أفكار وآراء أخرى من المحتمل أن تكون أفضل مما يطرحه هو، كل ذلك من منطلق أنه يملك الرأي الحق.

مظاهر التحيز الفكري: وللتحيز الفكري مظاهر يمكن أجمالها فيما يلي:

أ- **النظرة الأحادية:** أن الشخص المتحيز فكرياً عادة ما يكون ذا نظرة أحادية أي أنه ينظر للأمور من جانب واحد هو الجانب الذي يتفق مع ثقافته وتكوينه الفكري، غير مدرك أن للأمر الواحد جوانب متعددة. فمثلاً نجد البعض يرى أن السبيل لحل المشكلة الاقتصادية يمكن في السفر إلى الخارج ويحاول آخرون إقناعهم بأنه يمكن حل هذه المشكلة بطرق ووسائل أخرى علينا تجربتها أولاً قبل اللجوء لفكرة ولكننا جد هؤلاء المنحازين قد توحدوا تماماً بفكرة السفر واصبحوا يبشرون بها ولا يرون غيرها خلاً للمشكلة الاقتصادية.
ورأيه وإذا ما حاول محاوروه تقديم أفكار أخرى أو إبداء الرأي فإنه لا ينصت على الإطلاق بل يعيد ما سبق أن قاله مرة أخرى دون أدنى تأثير بما قيل محاوريه وهكذا يصير الحوار من طرف واحد.

ب- **ردود الفعل العنيفة:** في أحيان كثيرة إذا ما لاقى "المتحيز فكرياً" مواجهة من الآخرين فإنه يتوتر وينفعل وقد يحتد ويصف من خالفوه بأنهم لا يفهمون وفي حالة ما إذا كان له سلطان عليهم فإنه قد يستخدم هذا السلطان لضررهم إيماناً منه بأنه وحده يملك الرأي الحق.

ج- لماذا التحيز؟: لاشك أن الشخص الذي لم يتعود الانفتاح الفكري منذ وقت مبكر والذي لم يمارس القدرة على اختبار الأفكار والمفاهيم والآراء المختلفة فإنه من الصعب عليه إلا يتحيز فالتحيز يعنى أنه يتبنى فكرة أو رأى غالباً أملى عليه من فوق بحيث لا يجتهد فى محاولة نقد ما يتبناه أو رؤية ما يمكن أن يثريه. لذا فإنه من النادر أن نجد شخصاً يتسم بالتحيز الفكري يقبل ما هو جديد بسهولة، فما يتحيز له من أفكار وأراء يحميه ويؤمنه ضد كل ما هو جديد مفيداً وجيداً لذا فإن الشخص المتحيز فكرياً تسيطر عليه أفكاره إلى حد كبير.

2- الإيحاء :

ماذا نعنى بالإيحاء؟: ويقصد بالإيحاء ذلك الأسلوب الذي يعتمد عليه المرء لإقناع الآخرين بأفكاره وآرائه لا عن طريق منهجى مقنع مقدماً أسباب وأبعاد ما يطرحه وإنما يستخدم أساليب شكلية مبهرة ومؤثرة لتسريب أفكاره للآخرين وهذا ما يسمى بالإيحاء.

أشكال الإيحاء :

أ- استخدام المؤثرات الحسية والجمالية: إن الشخص الذي يستخدم الإيحاء أسلوباً لتمرير أفكاره للآخرين نجده دوماً يعتمد لا على المنهج الفكري المنظم والسليم بل على المؤثرات الحسية والجمالية المبهرة مثل: التلوين الصوتى - الجمال اللفظى - التأثير النفسى - التكرار الكلامى المتنوع.

ويتساوى الشخص الذي يعتمد على المؤثرات الحسية الجمالية تماماً مع الذى يروج لسلعة من السلع من خلال الإعلان حيث نجد صاحب الإعلان يستخدم الموسيقى والتراكيب اللفظية الملفتة، سهولة الحفظ، والترديد مستخدماً أسلوب أفعال التفضيل فى الترويج لسلعته واصفاً إياها بأنها: الأقوى، والأجمل والأحسن... الخ كل ذلك دون أن يتطرق المعلن إلى جوهر المنتج، وأسباب تفوقه على المنتجات الأخرى، بحيث يقنع المستهلك بحق بالدليل العملى والبرهان الحى ولا يكتفى بالأسلوب الموحى والمبهر الذى يعتمد على الحس فقط.

ولعل من ابرز الأمثلة التى يمكن التذليل عليها فى هذا المجال من يريد أن يغيرى شخصاً بممارسة خاطئة فإنه يعتمد على الإيحاء أكثر من التذليل العقلى كما فى حالة تشجيع شخص على الإدمان.

كذلك هؤلاء الوعاظ الذين ينتهجون منهجاً غير أرثوذكسى يعتمد على العاطفة والوجدان فيفجر لديهم طاقة نفسية سرعان ما تخبو وتفتقر.

ب- الاستشهاد بأسماء لها ثقل: أيضاً من ضمن أشكال الإيحاء المستخدمة ما نجده عند البعض عندما يطرح موضوعاً من الموضوعات على الآخرين فإنه يعمل على الاستشهاد بأسماء بعض الأشخاص الموثوق فى فكرهم ورؤيتهم، وباعتبار أن لهم ثقف فكرى ومعنوى فى المجال للنقاش وذلك بغرض الإيحاء بأهمية وقيمة ما يقول. وهنا نجد أن الأفكار المطروحة تستمد قيمتها بعدد الأسماء التى تم الاستشهاد بها ولا بما احتوته من قيمة حقيقية.

ج- السؤال الموحى بالإجابة: أن المستخدم لهذا الشكل من أشكال الإيحاء نجده يحاول من خلال مناقشته لأمر من الأمور مع الآخرين يطرح سؤالاً يمثل تحدياً لهم، وفى نفس الوقت يوحى لهم بالإجابة التى يود هو أصلاً سماعها منهم من خلال صيغة السؤال المطروح التى تتضمن الإجابة. فمثلاً نجد الشخص الذى يود أن يعطى انطباعاً لصديق له بعدم جدوى الذهاب للكنيسة يقول له: هل تذهب إلى الكنيسة أم أنك تأخرت عن الموعد المحدد؟ أو يقول: لماذا تذهب للكنيسة رغم أن مشاكلك لم تحل؟

وهكذا فى الحالة الأولى مثلاً نجده يوحى له بأن الوقت تأخر.. وفى الحالة الثانية يوحى بأنه يوجد علاقة مباشرة بين التردد على الكنيسة وحل المشاكل الخاصة للإنسان، وفى الحالتين فإننا نجد صاحب السؤالين يحاول أن يضمن الإجابة التى يود سماعها فى مسئولية المطروحين بحيث يعوق صديقه عن التفكير تماماً فى جوهر المسار بصورة منهجية ومنطقية فتأتى إجابته لا كمحصلة لتفكير ولكن فى حدود الإجابة الموحية التى يريد السائل.

أصدقائى... لاشك أن المتأمل لكثير من الحوارات التى تتم بيننا وبين الآخرين سوف يلمح اعتماد البعض على

أسلوب "الإيحاء" باعتباره أسلوباً لا يجهد صاحبه كثيراً بل يكاد يعفيه من أن يفكر تفكيراً سليماً. ومنظماً ومنهجياً فيما يتعرض له من أمور وما يطرحه على الآخرين من موضوعات بل تصبح المسألة كلها محصورة في اختيار الشكل الإيحائي الأمثل الذي يقنع الآخرين من دون جهد حقيقي.

لذا فإن دعوتنا لكم جميعاً هو أن تكون لدينا قدرة حقيقية ذاتية تحصننا من الوقوع في أسر الإيحاء.

3- الانطباعية :

ماذا نقصد بالانطباعية؟ الانطباعية هي أن يحكم المرء على الأمور والقضايا حسب ما يترأى له من الخارج دون جهد حقيقي يبذل للدخول إلى العمق والجوهر، وعليه يصير حكم المرء في هذه الحالة (حكماً انطباعياً) أي حكم قائم على الانطباع وليس الموضوعية.

ملاحظ الانطباعية في حياتنا اليومية: أن المتأمل لتفكير وسلوك الكثير منا في الحياة اليومية يجد سيادة المنهج الانطباعي، ففي الحياة كثيرة - مثلاً نحكم على شخص ما إيجاباً أو سلباً حسب ما يوحى به لنا شكله الخارجي.. فنقول: "فلان ظله ثقيل" لمجرد أنه هادئ، وقليل الكلام وقد يكون العكس هو الصحيح. وفي حفل الخدمة نجد البعض يحكم على أخوته انطباعياً بأنهم روحانيون أو غير روحانيون من مظهرهم الخارجي دون الدخول إلى العمق من خلال علاقة أخويه حية.

وما ينطبق في حالة الحكم على الأشخاص ينطبق أيّاً في حالة الحكم على الأمور والموضوعات والقضايا.. فنجد مثلاً البعض يحكم على جهد ونشاط آخرين بأنه جهد لا طائل له رغم حيويته وأهميته ذلك لأن هذا الجهد قد لا يكون متفقاً معه أو لم يبذل جهداً حقيقياً لمعرفة طبيعته وآثاره وفوائده.

أسباب الانطباعية: هناك عدة أسباب تؤدي بالمرء أن يتبنى منهجاً انطباعياً في الحكم على الأمور والأشخاص وذلك كما يلي:

أ- **الفرق في الذاتية والتحييزات الخاصة:** أن الشخص الذي لا يرى ولا يؤمن إلا بذاته أي يكون أسيراً لها كذلك اعتزازه شديد ببنائه الفكري فإنه لا يكون حريصاً بالقدر الكافي على تفهم الآخرين أو التعمق في القضايا وعليه يقع في فخ الانطباعية القائمة على السطحية.

ب- **الانقياد الدائم للعاطفة:** أن الشخص الذي يسلم قيادة حياته للعاطفة دائماً بحكم في الأمور بوجوده ومشاعره من خلال مجموعة الانطباعات التي تحدد موقفه من الأشخاص والقضايا لذا فإننا نجد البعض لا يدقق كثيراً في الاختيار بين البدائل عند الاختيار بين فرصتين للعمل مثلاً - حيث يتم الاختيار لا عن دراسة وإنما حسب الانطباع نجد أيضاً ذلك يتكرر أيضاً عند اختيار شريك الحياة حيث يتم الاختيار بناء على الانطباع الخارجي.

ج- **فقدان الرؤية والمنهج:** لا شك أن الإنسان الذي يتبنى رؤية ومنهج في حياته تكون لديه القدرة بالضرورة على ضبط موافقة ووجهات نظره وأحكامه، وغيبية المنهج والرؤية تعنى الجموح (أم 18:29) أي الأحكام المتعجلة والسطحية والانطباعية التي لا تقوم على أساس موضوعي.

4- التعميم :

ماذا نعنى (بالتعميم)؟: التعميم هو تلك النظرة المطلقة للأمور والتي يعتمد فيها المرء على إطلاق حكم عام وإجمالي على أمر من الأمور دون التعمق فيه وفهم خصوصيته والإطار الزمني والموضوعي الخاص به.

مظاهر التعميم في حياتنا اليومية: أزعم أن التعميم من أكثر سمات التفكير غير السليم ممارسة في حياتنا اليومية وبنظرة سريعة على ما يدور حولنا يتأكد لنا ذلك فمثلاً: نجد إنساناً يحكم حكماً عاماً على أن شباب هذا العصر يتسمون بعدم الصبر والعجلة. ربما يكون هذا الإنسان قد صادف شباباً من هذه النوعية ولكن لا يمكن تعميم الخصوصية التي أتسم بها هؤلاء على كل الشباب أو في إسقاط التحيز الخاص لهذا الإنسان في صورة حكم عام مطلق.

وفي نفس الوقت فإنه وحتى لو افترضنا جدلاً صحة هذه المقولة وهي أن شباب هذا العصر غير صبور ومتعجل فإنه علينا أن نضع هذا الحكم في إطاره الموضوعي والزمني الصحيح بمعنى أن العصر الذي نعيش فيه يتسم بالسرعة والتغير المطرد في كل شئ وعلى كل المستويات، وبالتالي فإنه ينبغي أن يكون حكمنا على شباب هذا العصر في هذا الإطار. فسمات العصر تعكس نفسها على كل منا - ولا شك - ومن ثم تصيح القضية أذن هي قضية إيقاع الشباب المتناسب شكلاً وموضوعاً مع العصر أكثر منها تعجيل أو عدم صبر وفي هذه الحالة يتم تصويت الرأي العام وبصير أكثر دقة كما يلي: نعم عصرنا السرعة وينعكس ذلك على الشباب بمقدار متفاوت حيث يتأثر بعضهم بذلك ولكن هذا لا يمنع من وجود آخرين لديهم القدرة على التعامل مع العصر بشكل متوازن..

أصدقائي... أن تناولنا لهذه القضية وقضايا أخرى كثيرة في ضوء ما حاولنا إيضاحه سابقاً سوف يكون من شأنه تغيير نظرنا للأمور ونتجنب الوقوع في فخ التعميم الذي يتسم غالباً بعدم الدقة وعدم التعمق وإسقاط تحيزاتنا الخاصة في رأي عام. بل تكون آرائنا وأفكارنا دقيقة ونتائج فحص ومتجردة من أي هوى.

5- التحايل :

ماذا نعني بالتحايل؟ هو ذلك الأسلوب الفكري الذي يلجأ إليه البعض لتمير الأفكار والآراء المختلفة اعتماداً على أساليب الالتواء، والمغالطة المقصودة والغش الفكري حيث يفتقد هؤلاء تقديم أفكارهم بصورة منهجية واقعية ومنظمة.

مظاهر التحايل في حياتنا اليومية:

أ- الروغان: حيث يلجأ إليه البعض عندما يجد نفسه طرفاً في حوار من مصلحته في هذه اللحظة ألا يخوض فيه رغم أهميته وحيويته أو غير قادر على الخوض فيه فيبدأ في استبدال القضية الرئيسية محل النقاش بقضايا أخرى فرعية ربما تكون بعيدة كل البعد عن الموضوع الرئيسي أو على أقصى الظروف تكون جزئية وهامشية بالنسبة للقضية الرئيسية.

فمثلاً عندما يكون هناك أحد الطلاب الذين يهملون دروسهم ثم يأتيه آخر بأهمية الاستذكار ويحاول مناقشة هذا الطالب في قضية التعليم في مصر وما هو عائد ذلك مستقبلاً.

بالطبع قد يكون ذلك مجال للنقاش بصفة عامة ولكنه ليس مبرراً كافياً لموقفه من الاستذكار.

ب- المراوغة: وهي ما اصطلح على تسميته في حياتنا اليومية (الف والدوران) حيث يلجأ إليها مستخدميها عندما لا يريد حسم أمر من الأمور أو الإجابة بكلام محدد حول موضوع المثار بل يترك النقاش تائهاً يروح ويحجى دون أي تحديد.

ج- غش الحقائق: حيث يلجأ إليها البعض وذلك إما باستبدال الحقيقية الأساسية بحقيقة أخرى فرعية أي إخفائها، أو بتشويهها أو المبالغة فيها بالقدر الذي يجعل البعض لا يقبلها كل ذلك بهدف التحايل على الآخرين لغرض ما في نفس الذي يعتمد الأسلوب غش الحقائق.

أصدقائي... وبعد كانت هذه بعض ملامح التحايل في حياتنا اليومية والتي يلجأ إليها البعض سواء عن قصد أو بدون قصد والتي تعكس في الحالتين عدم قدرة حقيقة لدى هؤلاء البعض على مواجهة القضايا والأمور بصورة فكرية ومنهجية سليمة ومنظمة فالأكيد أنه في ظل غياب الرؤية والمنهج لدى الشخص يضطر إلى أن يعوض ذلك النقص والغياب باللجوء إلى التحايل والتي يصفها بعضنا أحياناً بالفهلوة.

6- التبسيط المخل :

ماذا نعني بالتبسيط المخل: التبسيط المخل هو ذلك الأسلوب الذي يلجأ إليه البعض عند تناولهم لقضية من القضايا أو موضوع من الموضوعات حيث يضعون هذه القضية أو هذا الموضوع في قالب بسيط للدرجة التي يحذفون فيها جميع التعقيدات والتميزات الأبعاد المرتبطة بالموضوع أو القضية محل النقاش ويتخيل أصحاب هذا

الأسلوب أنهم ألما بالموضوع أو القضية إماماً تاماً رغم أنهم في الحقيقة يسطحون الأمر تسطيحاً كاملاً.

أسباب التبسيط المخل: أن المتأمل لحياتنا اليومية يستطيع أن يلحح ببسر إلى حد يسود أسلوب (التبسيط المخل) بالقدر الذي أصبح فيه هذا الأسلوب منهجاً عاماً، أن اللغة تسود حواراتنا يغلب عليها النظر الخارجي السطحي للأمور وللتبسيط المخل أسباب من ضمنها ما يلي:

أ- **الكسل العقلي**: أن الشخص الذي لم يتعود على التفكير أو الإمعان والتعمق في الأمور نجده يتكلم دائماً بلغة التبسيط فيها هو يقول مثلي (أن الجزر بيقوى النظر) دون أن يقدم أى إثبات أو برهان على ذلك.

ب- **تعمد إخفاء جانب أو أكثر من الحقيقة**: يلجأ أحياناً بعض الأشخاص إلى تبسيط موضوع من الموضوعات بصورة متعمدة بحيث يبرز جانباً معيناً يهمه إبرازه دون أن يبرز جوانب أخرى مرتبطة بنفس الموضوع.

ج- **إدعاء المعرفة**: إن مدعى المعرفة دائماً عند تناولهم لأي موضوع فإنهم غالباً يتعاملون معه بصورة مبسطة موحية بالمعرفة الدقيقة فمثلاً نجد البعض يتكلم عن (أن كل شئ نسبي) حسب ما يقول اينشتاين، بالطبع الموضوع أعقد بكثير من هذه المقولة التي تطرح ببساطة.
أصدقائي... ما أحوجنا إلى العمق والتأني في دراسة الأمور بكل أبعادها وتفصيلاتها.